والصبر والأناة والروية والتجويد والإحكام ، أو ـ كما كان يقول ابن جنى إلى « الصبر عليه ، والملاطفة له ، والتلوم على رياضته وإحكام صنعته » ، أو بعبارة أخرى ـ يحتاج إلى قدر من الصنعة يقوم الموهبة ويتحكم فى حركتها .

وهى مسألة تنبه إليها النقاد القدماء ، وتحدث عنها كثير من الشعراء حين راحوا يصورون ما يبذلونه من جهد وعناء فى صناعة شعرهم حتى تستقيم لهم متونه وتسلس لهم قوافيه . وقديما قال الفرزدق شاعر العصر الأموى الكبير « أنا عند تميم أشعر تميم ، ولربما أنت على ساعة ونزع ضرس أسهل علىّ من قول بيت » ومن قبل الفرزدق قال الحطيئة أبياته المشهورة التى يصف فيها صعوبة العمل الفنى وخطره :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

لقد تحول أكثر الشعراء فى عصرنا الحديث إلى آلات لإنتاج الشعر ، ولعلنا نلتمس لهم عذراً فى طبيعة العصر الذى نعيش فيه ، فقد أصبحت السرعة طابع العصر كله ، وأصبح كل شئ من حولنا يتحرك بسرعة كأنه طواحين الهواء ، وعلينا أن نلاحقه وأن نفى بحاجاته حتى لو كان ذلك على حساب جودة إنتاجنا الأدبى وأصالته، وكانت النتيجة التى انتهينا إليها ، والتى لم يكن هناك مفر منها ، هى أن أكثر أعمالنا الفنية احترقت قبل أن تنضج ، هذا هو الواقع الذى نعيش فيه ، وهذا هو الهدف الذى قصدت إليه من وراء هذه المقالات ، هى مقالات قد أكون عنفت فيها بشعرنا المعاصر ، وقسوت فى الحكم عليه ، ولكن يغفر لى هذا العنف وهذه القسوة أننى أطمح إلى المثال ، ولا أرضى بالواقع يفرض نفسه علينا ، وملء أعماقى ثقة فى أن من بين شعرائنا المعاصرين ـ حتى من بين الناشئة منهم ـ من يملكون القدرة على تحقيق هذا المثال . وأنا ـ قبل كل شئ ـ من أشد المؤمنين بحتمية التطور فى شعرنا العربى كما تتطور كل الفنون ، بل كما يتطور كل شئ فى الحياة .